

الوافي في الوفيات

وحجّ ستّ مرات . وَكَانَ يُعرف عند المَكِّيِّينَ بالسُّتوري لأنه أوّل من سار بكسوة
البيع بعد أخذِ بغداد من الديار المصريّة وقبل ذلكَ كَانَتْ تأتيها الأسبُتار من
الخليفة . وحجّ مرّة هو واثنان من مصر عَلاى الهجن . وَكَانَ من الأمراء فِي أيّام
الظاهر ثمّ أعطي أمريّة بحلب ثمّ قدم دمشق وولي الشدّ مدةً ثُمّ كَانَ من أصحاب سنقر
الأشقر ثُمّ أمسك ثُمّ أعيد إلى رتبته وأكثر وأعطى خبزاً وتقدمةً عَلاى ألف وتنقلّت
بِهِ الأحوال وعلت رتبته فِي دولة الملك المنصور حسام الدين لاجين وقدّمه عَلاى الجيش
فِي غزوة سيس . وَكَانَ لطيفاً مع أهل الصلاح والحديث يتواضع لهم ويحادثهم ويؤانسهم
ويصلهم . وَلَهُ معروف كبير وأوقات بالقدس ودمشق . وَكَانَ مجلسه عامراً بلعلماء
والشعراء والأعيان وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز روى عن الزكي عبد العظيم والرشد
العطار والكمال الضير وابن عبد السلام والشرف المرسي وعبد الغني بن بنين وإبراهيم بن
بشارة وأحمد بن حامد الأرتاحي وإسماعيل بن عزّون وسعد □ بن أبي الفضل التذوّخي وعبد
□ بن يوسف بن اللط . وعبد الرحمن بن يوسف المنبجي ولاحق الأرتاحي وأبي بكر بن مكارم
وفاطمة بنت المثلث بالقاهرة وفاطمة بنت الحرّام الحميريّة بمكة وابن عبد الدائم وطائفة
بدمشق وهبة □ بن زوين وأحمد بن النحاس بِلِسْكَندرية وعبد □ بن عليّ بن معزوز بمنية بني
خصيب وبأنطاكيّة وحلب وبعليّك والقدس وقوص والكرك وصفد وحماة وحمص وينبع وطيبة والفيّوم
وجدّة وقلّ من أنجب من الترك مثله . وسمع منه خلق بدمشق والقاهرة وشهد الوقعة وهو ضعيف
ثُمّ التجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد فتوفي بِهِ ليلة الجمعة ثالث شهر رجب سنة تأريخ
تقدم انتهى مَا ترجم لَهُ بِهِ الشيخ شمس الدين . قلت : وَكَانَ الشيخ فتح الدين بِهِ
خصيصاً ينام عنده ويسامره فقال لي : كَانَ الأمير علم الدين قدّ لبس بالفقيري وتجرّد
وجاور بمكّة وكتب الطباقي بخطّه وَكَانَتْ فِي وجهه آثار الضروب من الحروب وَكَانَ إذا
خرج إلى غزوة خرج طلبه وهو فيه وإلى جانبه شخص يقرأ عَلايَهُ جزءاً فِيهِ أحاديث
الجهاد وقال إنّ السلطان حسام الدين لاجين رتبته فِي شدّ عمارة جامع ابن طولون وفوض
أمره إليه فعمره وعمّر وقوفه وقرّر فِيهِ دروس الفقه والحديث والطبّ وجعل من جملة
ذلكَ وقفاً يختصّ بالديكة الّتي تكون فِي سطح الجامع فِي مكان مخصوص بها وزعم أنّ
الديكة تُعين الموقّتين وتوقظ المؤذنين فِي السحر وضمن ذلكَ كتاب الوقف فلمّا قرئ
عَلاى السلطان أعجبه مَا اعتمده فِي ذلك فلمّا انتهى إلى ذكر الديكة أنكر ذلكَ وقال
: أبطلوا هذا لا يضحك الناس علينا ! .

وَكَانَ سَبَبُ اخْتِصَامِ فَتْحِ الدِّينِ بِهِ أَنَّْهُ سَأَلَ الشَّيْخَ شَرْفَ الدِّينِ الدِّمِشْقِيَّ عَنْ وَفَاةِ
الْبَخَّارِيِّ فَمَا اسْتَحْضَرَ تَأْرِيخَهَا ثُمَّ إِنََّّهُ فَتَحَ الدِّينَ عَنْ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ فَحَظِي عِنْدَهُ وَقَرَّبَهُ
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا تَلْمِيزُ الشَّيْخِ شَرْفِ الدِّينِ فَقَالَ : وَلَيْكَُنْ وَغَالِبُ رُؤُوسِ دِمَشْقَ
وَكِبَارِهَا وَعِلْمَائِهَا نَشِؤُهُ وَجَمَعَ الشَّيْخُ كَمَالَ الدِّينِ ابْنَ الزَّمْلَكَانِيِّ مَدَائِحَهُ فِي مَجْلَدَيْنِ أَوْ
وَاحِدَةٍ وَكَتَبَ ذَلِكَ بِخَطِّهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ عِلَاءُ الدِّينِ الْوِدَاعِي يُعَزِّيه بِوَلَدِ تَوْفِيٍّ اسْمُهُ عَمْرٌ وَمِنْ
خَطِّهِ نَقَلْتُ مِنَ الْكَامِلِ : .

قُلْتُ لِلْأَمِيرِ وَعَزَّوْهُ فِي نَجْوَاهُ ... عُمَرَ السَّذِيَّ أَجْرَى الدَّمُوعَ أُجَاجًا .
حَاشَاكَ يُظْلَمُ رُبْعٌ صَبْرُكَ بَعْدَ مِنْ ... أَمْسَى لِسَكَّانِ الْجَنَانِ سَرَاجًا .
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ مِنَ الْخَفِيفِ : .
عَلِمُ الدِّينِ لَمْ يَزَلْ فِي طِلَابِ الْ ... عِلْمِ وَالزُّهْدِ سَائِحًا رَحَّالًا .
فَتَرَى النَّاسَ بَايَعِينَ رَاوٍ وَرَاءَ ... عِنْدَهُ الْأَرْبَعِينَ وَالْأَبْدَالَا .
وَقَالَ فِيهِ لَمَّا أَخَذَ فِي دَوِيرَةِ الشَّمِشَاطِيِّ بَيْتًا مِنَ الْكَامِلِ : .
لِدُوبَرِهِ الشَّيْخُ الشَّمِشَاطِيُّ مِنْ ... دُونَ الْبَقَاعِ فَضِيلَةٌ لَا تُجْهَلُ .
هِيَ مَوْطِنُ الْأَوَّلِيَاءِ وَنُزْهَةٌ ... فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا لِمَنْ يَتَأَمَّلُ .
كَمْ لَتُ مَعَانِي فَضْلِهَا مُذْ حَلَّاهَا الْ ... عِلَامُ الْفَرِيدِ الْقَانِتِ الْمَتَبِّحُ .
إِنِّي لَأُنْشِدُ كَلِمًا شَاهِدَتَهَا ... مَا مِثْلَ مَنْزِلَةِ الدَّوِيرَةِ مَنَزَلُ